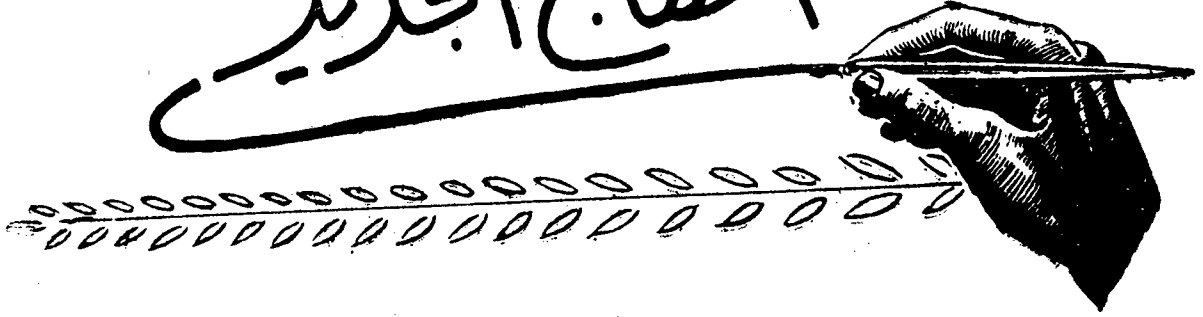


النتائج الجديدة



اقول لكم

ديوان شعر لصلاح عبد الصبور

منشورات المكتب التجاري - بيروت

*

بعد ان انتهيت من قراءة - اقول لكم - للمرة الثالثة ، سألت نفسي: هل هذا شعر ام فلسفة ؟! وحاولت ان اجد عطايا خاصا من الفلسفة على الشعر فلم اجد ، ذلك ان الفلسفة في حقيقتها تعتمد على التسلسل المنطقي ، وهي بذلك تؤكد البراهين القاطعة ، بينما يقال الشعر من منطلق لا محدود . انه وان هيكلناه سلفا ينطلق من عاطفة ومشاركة انسانية قد لا تكون من صالح الحقيقة او الفلسفة .

وديوان الاستاذ صلاح عبد الصبور يجمع بين الشعر والفلسفة في اطار شيق . فهو يعرض حياته للناس كما عرض سقراط افكاره في اسواق اثينا بالسؤال الجري .

ومنطلق صلاح هو هذا الشيء الحزين الذي لا يلمس وانما يومي اليه ونشعر به ، فاذا بنا نحس بشيء غريب .. غامض .. حنون ... يتشكل في تذكارات يوم كشف عرينا وجعلنا نفوس الى الاقرار بحثا عما حمله لنا من ذكريات او ليلة عاطرة ، ليلة من ليالي نيسان .. وربما كان هذا الشيء هو الندم او الاسى من جراء الجريمة والضياع .. انه على اية حال ذلك الشيء الحزين الذي يستيقظ فينا فجأة . فنحمله في العيون والذماء ، نحمله في صدورنا ، ونود ان نحمله الى الابد .

منطلقه .. هذا الشيء الذي يجعلنا نبحث عن الكلمة وودادها .. نبحث عن الشعر : فهو قبل ان يبدأ بقصيدته الطويلة - اقول لكم - . يقدم لنا قصائد حزينة تحاول ان تتعمق جذور الحياة . فقد عارك من اجل الالفاظ وبناء الكلمة وادراك الحياة والحب في قصائد موت فلاح ، كلمات لا تعرف السعادة ، اغنية خضراء ، قالت ، هل كان حبا ؟ ان الحياة والحب هنا يأخذان من صلاح جهدا وافرا . نصيبه من هذه الحياة التي لا تبقى على حال .. فهو يحاور الايام ويداجيها ويعيش غريبا حتى عن نفسه ، انه رغم اللقاء ، غريب عن اخيه الانسان ، ورغم الجهد الذي يبذله من اجله يظل غريبا وينساه الله ففي قصيدة - اغنية خضراء - يعيش الغربة بكل مرارة .

وكان علينا قد خطت القدار

وكان الغربة ميقات لا بد تؤديه

ان نضرب اعواما في التيه

ان نعبد اصناما مكدوبه

ينساه الله رغم انتحاه العظيم على الحياة ودروبها الوعيرة في

قصيدة - قالت -

يا اختي .. انا قد انفتحت الايام احاورها واداجيها

وكان الله ..

لم تنسج كفاه قلبي .. فدري الانسان

الله ! ينسانا يا اختاه

اترون الى هذا النبي الجبار يعيشه صلاح وهو الذي يقول لحبيته

في - اغنية خضراء -

يا حبي فولي للحجاب ..

فلتفتح لي الابواب ، انا الشادي الانسان

انه يخشى الليل . لا يريد ان تأسره الظلمة ، ويبقى خلف رتاجها

تأكل معصية القيود وتدمي قلبه . وهو الحب الشفوف بالحب والحياة .

وانا من فتیان القريه

او فاهم في الحب

وشجاعة قلبي مرويه

صلاح .. بهذا الشعر يفتح افقا لم تره العين من قبل ، الحياة

والحب لا تأسرها ظروف أو امكنة .. انها ممكنان منطلقان من الحدود .

ومن هنا يرفض الشاعر الحياة العادية والظروف العادية ولاسيما في

قصيدة - الظل والصليب - فهو ازاء تلك الاحوال التي يسامها يشعر

بالرعب القاتل . فان مسرح الجريمة في تلك القصيدة العملاقة ، يسوق

الناس الى الهاوية .

ولننسى مع صلاح في اقول لكم ، لنقترب من حياته كائنات وشاعر

وحكيم له نظرتة عن الحياة .

ففي النشيد الاول يعرض - اناه - كشاعر يجب الا تموت كلماته .

وان تبقى منداة بخطر الحب ، ويطلب منا المغفرة اذ هو لم يكن ابا الطيب

ولا ابا العلاء .. فيما لو قصر في تعبيره ، فليست مهمته سهلة ، فان

تدوير ما يمتد في الدنيا الى كلمات - و - بسط الذي يلتف في

النفس الى كلمات - و - تنعيم هذا الزمن موسيقى - ليس من السهولة

بحيث نجفو الشاعر ونفسو في احكامنا عليه .

ولست ادري ، اكان اتفاقا ام مصادفة ان يعرض صلاح نماذج من

حياته كما كان سقراط يبحث عن الحكمة والحقيقة ، يسجلهما في

واعيته من افواه الناس .. ويبني عليها الافكار . لعل ذلك لان الحكيم

بحث عن جمال فوجده في الاتقان .

ان الخراف اذا لم يعتن بجراره ويتقن صنعها فسوف تكون رديئة

المنظر بحيث لا يمتع بها عينيه العميقتين كعمق الحقيقة .. وعمق

الحياة .

واذا عرفنا هذه الصورة عن سقراط في رحلة الحياة عن طريق

الحكمة فهذه الصورة ايضا - الاتقان - يبدأ صلاح رحلة مع الحياة

محاووا ادراكها عن طريق الشعر . طريق الحرف والكلمة والموسيقى .

وفي النشيد الثاني يعرض لنا الحب . لانه ينبع من صميمه كما

ينبع الشعر ، انه ميلاد بلا حساب وبغير اوان .

وحديث الحب منتشر في القسوة والعذاب والحمران وفيه اللين

والتعاطف والمحبة الخالصة التي تسكر انفاسنا وتمزجها بخطر جديد .

ولقد مر الحب ردحا على الشاعر في تجربة قاسية ، تجربة العبودية والضياع وذلك ،

ايام بلا طعم

وآشباح بلا صورة

واغنية مجنحة ،

بجوف النفس مكسورة .

كان ذلك لانه فقير في حبه ، لا يستطيع ان يظهر لحبيته في كبره الحقيقي . ولانه الفقير الذي يبحث عن طعامه وعن كوخ يستتر عريه ، ولكنه يجد الحياة لينة جميلة هادئة ، عندما يدرك من حبيبته الوجه السمع فيغني لجمالها اغنيات تفرح لها . وتطلب منه ان يغني لنفسه ، فيضع عوده جانبا بعد ان استقره انعاما على صدره ليقول

« وان الحب ..

عندما يصبح انسان حقيقة

عندما يبحث في ظل العيون السود عن عين صديقة

ويراها

عندما يحلم بالبيت وبالدفء على مخدع نظره

ويواري خوفه في متكاه

عندما يشرح انسان لانسان جناحه

وينافيه دلالات وسماحه

وبهذه الابيات يشرح لها كل ما طواه : صدره وما اسعفه قوله ، فاذا هي تقول له باندفاع حلو رائق .

« انك لي .. واني لك » .

وفي النشيد الثالث يرتاد الافكار الضخمة ، انها عن الحرية والموت فيؤكد ان الانسان حر . وينفي انه مقيد وان ظروفه تتحكم في حياته . ان الشاعر يملك الحياة ، فلا بد اذن ان يمارسها ولا بد ان يعيشها وليس ثمة قيود تمنعه من ذلك .

لقد قيل للناس ان بقاءهم مسطور وان حياتهم جسر ، اما ان الحياة جسر فهذا ما يعيه الشاعر وعيا تاما ويؤمن به . فالانسان لا بد له من التضحية . على انه ينفي ان للكون بداية وان له نهاية محتومة ، اننا نعيش بين ليل وصباح وقصارانا ان ندرك رحلة حياتنا . وهذا ما يميل الى تأكيده اليوم العلماء ، بحذفهم حتى الزمان الرياضي .

واذا تحدث الشاعر عن الموت ، فانه يأسف على الشباب الذي قضى واقتنى وشيد . الا انه لا يبكي لانه لا يتدم .. ان الندم هو سقوطنا . فلماذا اذن نبكي من مات ما دنا نحيا . الشاعر يطالبنا بالحياة دائما . ويرجو الا نلتفت الى الموت يئمة او يسرة .

وقفت امامكم بالسوق كي احيا واحييكم

لا ابكي وابكيكم .

وما غنيت بالموتى ، لاصنع من جماجمهم

عمامة وعظ .

وفي النشيد الرابع يقدس الكلمة - جل جلالها الكلمة - وذلك لانه تصنع الحركة .. تصنع الفعل ، والفعل والقول جناحان عليان فلمجرد ان يهمهم الخلق او تنقل الريح فانها تصنع

كتائب فوق طوق الحصر ، مسرجة ،

على افراس سواحه

وطوق لجامها الكلمات .

ان الكلمات . هي التي تصنع الحياة . اذ ليست الكلمات تلك التي اصطلحنا على تسميتها باللغة ، ان الكلمات اللغة الصادرة عن الاصوات ، عن الحركة ، عن الحياة في داخل هذه الحركة .

اما في النشيد الخامس فان القديس يترك الوعظ ، والقديس ليس الا الشاعر الذي يطعم الكتب للنيران وينفي ما قاله بعض الفلاسفة القدامى في اباطيلهم عن بدء التكوين ، ويفتح شبابه على التجربة ، يعيش مع الناس ، الماشين في الطرقات والساعين للارزاق يفتح على اشياء لم يكن يمارسها ، فلقد كان قديسا منفيًا عن الحياة في صمت وذهول . كان يعيش في البيت ويحتر نفسه مع الكتب والكلمات المحنطة .

واصبح ذلك الانسان الذي يشعر بان جسمه المحوم ينبض مثل قلب الشمس . أصبح يحمل رسالته الحقيقية الجادة .

وفي الاناشيد الثلاثة الاخيرة ، - السوق والسوقه ، موت الانسان ، اجافيكم لاعرفكم - يريدنا الشاعر ان نكون بعضا لبعض . فاذا كسره احدنا ان يفشى زحام السوق فليعلم انه من السوقه ان عليه ان يمي ان هذا السوق هو الذي ينتج الحب والافكار . فالانسان يعيش وفي قلبه صورة الانسان الاخر ، وما اتمس ذلك الانسان الذي يموت وقد قتل في صدره انسانه ، انه لشرف عظيم ان نعيش للانسان الاخر . نشرح له ما تكنه في صدورنا .

وما اجمل الانسان حين يواجه الصمود ، فيشق الارض وينبست فيها الحب والخصب والجنل والحياة .

واذا ما جافي انسان انسانا ما عفوا ، فليس ذلك بقصد الاساءة اليه ، انها من اجل ان يعرفه ويقدم له لونا من الحياة جديدا .

هذه قصيدة - اقول لكم - . لقد كشفت الحياة بكل ما فيها من تعرجات . فكان رائدها الحب الذي بشر به صلاح مخلصا للانسان من المازق .

.....

في قصيدته - العائد - الحب الذي يهرب منا .. الحب الذي يحزننا ويدلنا اذا ما طال به الامل في جفوننا وقد جافي هذا العائد صديقنا الشاعر لعشر سنين .

قل لنا يا ايها العائد من اي طريق جئتنا

اي كف مسحتك

وعلى بحر الليالي حملتك

نحونا

بعد ان شلناك حزنا هادئا في جفنا

وحملناك اسي في صوتنا .

ومشينا بك في اعصابنا خطوا ثقيل

وبكيتناك بلا دمع طويل .

ويئسنا منك ياسا كبريانا نبيل

قل لنا يا ايها العائد هل انت مقيم بيننا

انثد يا طفلنا الاوحد فالدنيا عقيم وعجوز

لم يعد غمرك في الدنيا لنا .

ما هي قيمة الانسان ، قيمة الحياة اذا نفينا الحب .. انه دعامتنا في ان نحيا ، ان نامل .. ان نستمر ، انه السيد العظيم لنا . وبدونه نفقد قيمتنا وحياتنا معا .

ولنا ان الى قصيدة - الظل والصليب - ان هذه القصيدة دعوة الى ان نتحرر من قيود انفسنا . وما دنا نعيش في حدود انفسنا فلا بد ان نشعر بالالم الحاد يعصر قلوبنا . لا بد حينئذ ان نرجع من ابحار الفكر دون فكر .

والظل في هذه القصيدة العملاقة رمز الى القيد النظري الذي يفرضه الانسان على اخيه الانسان . هذا الظل يصر على بقاء انساننا تاها ينتف ذقن شعره . ينجب البنين والبنات دون ان يشعر بلسدة الانتصار او وخزة الانكسار . وما هذا التائه سوى انساننا العربي الذي يتقدم في حين تقدم العالم لانه يعيش في مشارف المحظور .

- لم يعيش لينتصر

ولم يعيش لينهزم -

اذن .. لم يعيش لان يوجد على الاطلاق ، ان صلاح ينتصر لانسان قصيدته هذه بديوانه كله . فحينما واجه تلك الظروف التي تعبط بانساننا المتوقع احس ان الخطر يكمن في سيده الحياة .. السام ..

ذلك الذي يجعل بعضهم يبدلون رؤوسهم فاذا

- رؤوس الحيوانات على جثث الناس

ورؤوس الناس على جثث الحيوانات

ان المصيبة كامنة في ان الانسان لم يزحزح عنه هذا الظل الذي يصلبه .

تأملات وجودية

تأليف الدكتور زكريا ابراهيم

منشورات دار الآداب - بيروت

★

تقديم : اذا كان تعريف الفلسفة : هو البحث العقلي الحر عن حقائق الكون وخفايا الوجود ، وكان موضوعها : هو امادة اللثام عن هذه الاسرار وتلك الحقائق الخفية ... فانه يتحتم ان تكون الفلسفة استفهاما وتساؤلا ، ولا بد من ان تظل مرنة مفتوحة غير مكتملة .. والا فانها لا بد عندئذ من ان تقع فريسة للجمود والتجسر ، فما اقسى ان يكون المرء مفكرا ، ويضع كل المعاني في قوالب حديدية ، وانها لكارثة ان يسير المفكر وفق قاعدة تقضي على حريته ، فيصاب فكره بالمرض والشيخوخة لانه يسير في طعامه على « رجيم » واحد !

ومن هنا قد يصح ان نقول : ان على كل فيلسوف ان يثير قضايا الفكر والوجود لحسابه الخاص ، وكان الفيلسوف بأسرها انما تظهر الى الوجود للمرة الاولى على يديه .. فلا حياة للفلسفة ان لم يحاول الانسان المفكر ان يفلسف حياته ، ويحيى فلسفته ، وهكذا سيظل الفيلسوف حائرا مندهشا ، متعجبا امام كل شيء لانه « انسان » والانسان الذي يتعجب ، ويتردد ، ويقلق ، ويخاف .. ليس هو « العالم » بل هو « الفنان » اما « العالم » فهو مستمر في عاداته كاستمرار الصخور !

وهكذا نجد انفسنا امام كتاب « تأملات وجودية » لا نملك سوى ان نردد هذه العبارة « حينما يحسن الانسان النظر فان كل شيء لا بد من ان يبدو له بمثابة علامة أو اشارة » وسوف نتناول بالتفد هذا الكتاب في ثلاث نقاط مع وضع الاعتبار الآتي : « ان الذي دفعني لتفد هذا الكتاب ، حبي لكاتبه ، ثم ايماني بزاهة فكره ، وسعة صدره » لذلك تجدني اتناوله دون حرج ، وليتفضل القارئ العزيز بأن يعيش معي فيما تقمنه الكتاب من تأملات :

أولا : (ما معنى الحياة)

انه نوع من الحنين يقود النفس الى لحظة من لحظات السعادة .. حيث يبحث الانسان بين ثنايا نفسه عن معنى لهذا الوجود الذي نعيش فيه ، وعن معنى حياتنا .. فاذا اراد القارئ ان يعرف رأي المؤلف عن معنى الحياة فما عليه الا يسمع هذه النغمة :

(حينما احاول ان افكر في معنى حياتي فانه يخيل الي : ان الحياة ليست شيئا يتضمن « معنى » لانها ليست موضوعا يمكن ان اتعقله أو ان افكر فيه ص ٢٣)

فما علينا الا ان نتناول هذه الفكرة بالتفد فنقول : اذا كانت الحياة بلا معنى ، أو اذا كانت الحياة سخفا في « سخف » فكيف احتملها الانسان ؟ كيف استمر الانسان حيا يقاوم السقوط اذا سار ، ويقاوم الموت اذا وقع في خطر ، ويقاوم الرنابة والمال ؟ أفلا يكون التساؤل عن معنى الحياة عرضا مرضيا من اعراض ذلك الداء العقلي الذي ينتاب بعض الفلاسفة فيصرفهم عن التمتع بوجودهم والاستغراق في حياتهم ؟ أم ان الوجود البشري لا بد وان يبحث عن خلاص يدفع به هذا التصدع الذي اصاب اركان جسده وأغشى على منوال فكره !

وكيف الخلاص .. هل الانتحار وسيلة للخلاص ؟ ولماذا أنتحر .. ليس الانتحار اعتراف بجدي الحياة .. اعترافا بقيمتها ؟ ان الحياة كما ذكر « المؤلف » ليست ذات قيمة .. فما معنى ان يهرب الانسان من شيء لا قيمة له ؟ ولماذا يهرب الانسان من الحياة .. وهو لا يملك حياة غيرها وهو أيضا لا يريد ان تضع عليه .. لذلك نجد الوجود البشري قد ارتبط مع الآخرين من بني جنسه ليعيش ، ويقاوم ، وينفذ حكم الحياة فيه ... حقا انه التماسك .. تماسك

وقيل ان أنتهي من هذه المجالة القصيرة عن ديوان عامر بالحب والحكمة اود ان انتقل الي - كلمة الشعر - عند صلاح .

صلاح يردد كلمة الشعر كثيرا في ديوانه ، ولسنا نريد ان نمثمه من ذلك الاكثار في ترديدها . ونطلب ان ينفذ من المسميات الى البابا، ذلك لانه شاعر حصيف أدرك ذلك وقدمه لنا في قصائده العديدة . فهو كشاعر لا يستطيع ان يفلت من زمام هذه الكلمة الأسرة « الشعر » .

والشعر عند صلاح بمثابة المواعظ على الجبل لدى المسيح وبمثابة السؤال الجريء على شفني سقراط .

اما نجاحه فقد جاء مؤكدا . ذلك لانه عالج الحرف قبل الكلمة والكلمة قبل ان توضع في بيت الشعر ، حملها في اعصابه اياما وشهورا ، لا بل حملها سنين طويلة في شكل تجربة معمقة ، واحترق الف مرة قبل ان يلقي بها على صفحة القرباس . انه عالج الحياة بالشعر .

ولكنني احب ان اقول انه لم يعش القصائد الوجودية في نهاية الديوان . انها لا تستاهل ان توضع الى جانب « الظل والصليب » . أو « العائد » . أو اية قصيدة من القصائد الاولى في الديوان . ذلك لانها تتحدث عن شاعر ليس بينه وبين صلاح سوى صورة الصلاح . انه ابو تمام الذي لم يستطع ان يكون شاعرا بقدر ما كان حكيما .

اما صلاح فقد كان على العكس شاعرا اكثر منه حكيما ، وهو في قصيدته - يلفظ اللافتون - لم يعد ذلك الشاعر القوي ، الشاعر الانسان .. الشاعر الذي لا يجب الضجيج لانه يريد ان يسير عمق الحياة عن طريق الحب .

ولعل صلاح يدرك ان قصيدته هذه انما هي لفظ وضجيج انها عبارات قومية عنترية بعكس قصيدة - شفق زهران - في ديوانه الاول - الناس في بلادي - . وذلك ما لا نريده من صلاح .

اما قصيدة - ابو تمام - فهي اهدأ من القصيدة المذكورة آنفا ، والطف جواً وأغنى حسا ومشاركة .

واحب ان انه الشاعر الى انه يستشهد كثيرا في شعره بنشيد الانشاد في التوراة وبعض قصائد ت.س ابوت في مجموعة قصائده المختارة . وانه يخطئ أحيانا في العروض ولعله يقرنا على جميع هذه الاخطاء .

وليس هذا هاما بقدر ما يهمننا الديوان بمجمله انه الحب والحياة والخلاص من المأساة . وما افقر الكلمة النائرة الى جانب الكلمة الشاعرة .

موسى صرداوي

الكويت

دراسات ادبية

من منشورات دار الآداب

لحمي الدين صبحي

نزار قباني شاعرا واتساقا

للدكتور محمد مندور

لصايا جديدة في ابنا الحديث

لرجاء النقاش

في أزمة الثقافة المصرية

الأفراد أمام الشيء الواحد.. أمام الخطر الواحد .. ذلك الخطر الواحد هو الحياة .. بسخفها ، وتفاهتها ، وخلوها من المعنى والدلالة إذا صح التسمير !!

ثانيا - (الموت مشكلة الإنسان)

ويعد أن يترك « المؤلف » الحياة .. مجردة من المعنى والدلالة .. نجده يبحث متأملا في « مشكلة الموت » فيقول :
(لكننا ما تكاد نفكر في الوجود حتى نجد أنفسنا مدفوعين الى ان نفكر في الحياة .. وما تكاد نفكر في الحياة حتى تجول ببائنا فكرة « الموت »)

وحيثما يصر الفكر الميتافيزيقي على ان يصوب نظاره العقلية نحو مشكلة الموت فإنه لا بد من أن يجد نفسه بازاء هوة سحيقة لا يجتني الرء من وراء التحديق فيها سوى الشعور بدوار عقلي عنيف ! لان الإنسان ليس هو الموجود الوحيد الذي يعرف انه فان فحسب .. بل هو أيضا الموجود الوحيد الذي يدخل الموت في صميم وجوده باعتباره أعلى ما لديه من امكانيات ! فليس موتنا واقعة تظهر في ختام حياتي .. بل هو واقعة قائمة في صميم حياتي ، اعني انها واقعة لا تكاد تنفصل عن فعل وجودي نفسه .

فلماذا يشر فينا الموت كل هذه المخاوف ، ونحن نرى ان حياتنا نفسها عبارة عن دفن مستمر لاجزاء من ماضينا ، وشخصيتنا ، وتجاربنا وحالاتنا النفسية (١) .

لكن « المؤلف » لا يرضى ذلك .. فينصب متمردا ، ويصفع كل من يؤمن بفكرة الموت ويضع أمامه هذه الفكرة : (ان الحياة التي ظلمت تعمل جاهدة في خلق موجود حثبه الفكر والارادة وظلت ترعاه حتى أزهق وترعرع ، لا يمكن ان تأتي في خاتمة المطاف فتقضي عليه ، وتحطم بذلك كل ما عملت على تحقيقه . فهل يعقل ان تأتي هذه الطبيعة نفسها فتحطم تلك التحفة الثمينة التي عملت على تكوينها) ص ٥
ثم في موضع آخر من الكتاب نجد الاحرف فائرة ، نائرة وهي تكون هذا المعنى (هل يكفي لاقناعي بعدالة الموت .. ان يقال اني لست الا فقرة صغيرة في كتاب الكون !)

ونحن لا نملك الا نرد على هذه التاملات بما كتبه المؤلف نفسه في كتابه « الفلسفة الوجودية » حيث يقول :

(« الذات البشرية تعرف ان وجودها متناه ، عرضي ، محدود ، موقوت مجعول للفناء .. فوجودي هو الشيء الوحيد الذي املكه ، وهو أيضا الشيء الوحيد الذي أنا معرض لفقدانه في كل لحظة ، وعيشا احاول أن أصرف نظري عن هذه الحقيقة .. » (٢)

اذن : لا بد وان تسدل الستارة على الفصل الاخير .. حيث يسقط الموجود البشري الى القاع .. والحياة لا بد وان تنتهي بعد سير طويل الى « حفرة » هكذا ودائما ! !

فهل هناك ما يدعونا الى ان نغلف حياتنا بالالم والخوف والسأم ، ونحن محكوم علينا بأن نعيش .. فقد أنزلنا على هذه الارض ، ونحن لا نعلم شيئا عن حكمة حياتنا أو عن غايتها .. لا نعلم شيئا ، وكل الذي نعلمه .. أننا نعيش ونواصل العيشة .. حتى نموت !
وإذا ضحكت الحياة بعد موت الفرد .. اذ انها تبقى بعد رحيله .. فلنضحك كما يحلو لها .. لانه من المستحيل ان اعبر عن حقيقي وغيبي لهذا الضحك ، وتلك السخرية .. لانني قد رسبت .. كما يرسب الصديد في القاع ! فلا بد حينئذ وان نعرف ان وجودنا ما هو الا آثار أقدام فوق الرمال ختى حائرة فوق الجليد ، وميض خاطف سرعان ما ينطفئ فوق محيط مظلم حالك السواد !

(١) مشكلة الإنسان - زكريا ابراهيم - فصل « الموت »

(٢) الفلسفة الوجودية - زكريا ابراهيم - سلسلة اقرا

فليس الالم هو المحك الوحيد في هذا الوجود الذي نعيش فيه لكنه الامل .. الامل الذي به نستطيع ان نقضي على الخوف من الزمان والخوف من المستقبل ، ثم الخوف من الموت أيضا !

ثالثا - الحب والموجود الخالد

أما الفكرة الثالثة فهي خير ما قدم المؤلف في كتابه .. فاذا بدت لنا فكرة الموت كأنها عملاق غاصب يكرهنا فلا بد لنا من ان نعمل على مصارعة الموت باسم « الحب » .. فالحب هو الذي يرفع كل شيء وكل حي الى مستوى « الموجود الخالد » .. والحب هو الذي يهب الحياة الابدية لكل ما يمسه او من يتلبس به !
وحيث يجيء الموت فيختطف شيئا أو شخصا عزيزا علينا فان في استطاعة « الحب » ان يتحدى الموت باسم الحياة الابدية الخلاقة التي سوف تنتصر على الموت !

وهكذا : لا بد لنا من ان نعيش مع الامل ، والحب .. ففي الامل الحياة ، ومع الحب الخلود ، ولا فائدة هناك في انني أسحب خلفي طوال حياتي العقاب الذي أستحقه ، وأظل دائما في سجن المألم من التنسك منقطعا عن الناس .. لانني اعتقد كما يقول « كيركجورد » في عفو الله ، واذا لم يستطع ايماني ان يبلغ درجة عالية فإنه يستطيع على الاقل حمايتي من اليأس .

خاتمة : في الختام يكون حكمي على كتاب « تأملات وجودية » .. أنه لحظة من لحظات الانفجار الوجداني العميق ، الذي ينزف الالم .. كلون من الوان الاحتجاج على الكون ، وعلى الحياة .. وان هذه التأملات التي تضمنتها الكتاب تجعلنا نقول عنها أنها عبارة عن امتدادات عقلية وعاطفية تجتمعت لدى الكاتب خلال ذلك الخضم الهائل من الاحداث الشخصية الذاتية

بيد أنه وراء هذه الصارات المذبة ، والصيغ الميسورة ، والحربة الظاهرة في الاسلوب .. يلمح القارئ الدقيق التعمق .. ذلك الاسلوب المتدفق كأنه السيل ، والندب كأنه الشعر ، والاخاذ كأنه السحر فلم ينزل المؤلف بالفكرة العالية الى ارض التهاون او دنيا الاستهتار ، وإنما احتفظ بمنزلته العليا في سماء الرفعة والجلال ..

وهذا بطبيعة الحال ليس بجديد على كاتب صاحب مؤلفات عديدة في قضايا الفكر والفلسفة المعاصرة وهو الذي اختتم مقدمة الكتاب الذي نحن بصدد قائلنا :

(ان كل من يزعم لنفسه أنه قد استطاع ان يرى بوضوح كل شيء فإنه في الواقع انما يقلع عن البحث والتفلسف ، وكل من لا يسلم بوجود اي سر Mystère فإنه في الحقيقة انما يلغي كل تفكير وتساؤل)

سيد صبحي

كلية الاداب - جامعة القاهرة

فندق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز وأسعار معتدلة

إدارة: حلمي المباشر

الزهاوي الشاعر القلق

تأليف الدكتور يوسف عز الدين

منشورات مكتبة النهضة - بغداد - ١٩٦٢

✱

بحث مطول نشره الدكتور يوسف عز الدين في مجلة المعلم الجديد
أولاً ، ثم عاد وضم إليه محاضرة بعنوان - التيارات الأدبية في العراق -
ونشرهما في كتاب بعنوان آراء في الأدب العربي . ويمكن تركيز البحث
وتلخيصه في النقاط التالية :

١ - عصر الزهاوي : انه عصر حافل بالاحداث السياسية وقد
صاحبت هذه الاحداث احداث فكرية واجتماعية هزت المجتمع
وفتحت الأذهان على مثل جديده واكتشافات حديثة وآراء غريبة عن
المجتمع . وقد اجتاحت التيار القومي اكثر بقاع العالم وكان من اثر هذا
التيار ابتعاد العرب عن الدعوة الى الجامعة الاسلامية ونشاط انصار
الجامعة الاسلامية لتأييد دعوتهم واللح بها كما نشطت الدعوة القومية
لانشاء دولة عربية تلم شمل العرب وفي مثل هذا العصر ظهر القلق
الروحي والاضطراب النفسي بين الافراد وقد كان اثر هذا القلق
ظاهراً على شعراء العرب فانعكس في شعرهم .

٢ - الزهاوي والعصر العثماني : في ضوء ما تقدم من سيطرة
القلق على النفوس واصطراع العقائد يمكن ان نفهم كيف ينشر الزهاوي
كتاباً بعنوان الفجر الصادق (القاهرة - ١٩٠٥) يمدح فيه السلطان
عبد الحميد ويدعو الناس الى الجامعة الاسلامية والالتفاف حول
الخلافة كرمز للوحدة الاسلامية ، وبين موقف آخر مناقض للاول تبني
فيه القضايا العربية وطالب بجعل اللغة العربية لغة رسمية في
العراق اسوة بسوريا آنذاك في خطاب القاها في مجلس المبعوثان

٣ - احتلال العراق : ان القلق النفسي الذي استحوذ على الشاعر
هو الذي دفعه الى تناقضات اخرى بعد الاحتلال الانكليزي للعراق . فقد
هرع الزهاوي الى محطة القطار لاستقبال الحاكم البريطاني (السير كوكس)
ووقف خطيباً واوغر صدره ضد ثورة العشرين الوطنية وهي في اتونها .
كما أعاد نشر قصيدة سابقه له في مدح الانكليز وهجاء الاتراك ويطلق
الكاتب الفاضل على ذلك قائلاً : ويعجب القارئ كيف وقف من
الاتراك هذا الموقف وانقلب عليهم . وهكذا تضافت كل عناصر القلق
على الزهاوي من تقدم في السن واشتداد في المرض وخيبة من
الملك المتوج وخشية من المنافسة المتجسدة في الرصافي وطوح في ان
يصل المكانة المرموقة فهادن الانجليز وسار مع الحزب الحسر المعتدل
وهاجم الاتراك

٤ - ولما لم يتحقق للزهاوي حلمه رفع راية التمرد الى تحرير
المرأة ودعا الى الفلسفة والى الاخذ بنظرية دارون وحشر نفسه في
امور كثيرة كالجاذبية والطير القلاب « والواقع ان دعوته الى الفلسفة
وتحرير المرأة وما طالب به لم يكن الا اندحاراً نفسياً للتأكيد على
الذات . لم ينل الزهاوي ما يريد فسخط وثار وتآلم لانه رأى غيره
يتقدم في مناصب الدولة وقد تأخر عنها هو وبذلك لم تشبع رغبته في
التقدم واثبات ذاته والتي برزت كثيراً في شعره » . ويرد الكاتب
الفاضل سبب ذلك الى اندفاع الزهاوي وتقلبه السريع وعدم رزائته
وهي حوائل حالت دون وصوله الى ما يريد . ثم انتهى الى الحكم
بان نفس الزهاوي القلقه قد صورت آلامه اكثر من واقفها لرهافة
حسه فظن الامر على غير حقيقته ثم لما رأى احلامه تنهار انكمش على
نفسه ونذب ايامه في ظل الحكم العثماني قائلاً والحيرة تملأ قلبه :
ابن عزي في دولة الاتراك انا مما فقدته انا باكي
كنت بالاسى راضياً عن حياتي وانا اليوم من حياتي شاكي

٥ - الزهاوي والرصافي : وفي الفقرة الخامسة من المقال تصدى
الباحث الى ان شخصية الرصافي وقوة شعره وكثرة انصاره قد زادت في قلق
الزهاوي وعرض لاطراف مسن تلك المنافسة التي زادت في قلق الزهاوي .

هذه خلاصة مركزه للبحث المتع الذي كتبه الدكتور يوسف ولاشك
انه من احسن ما كتب عن الزهاوي على كثرة ما كتب عنه . ولنا عليه
ملاحظات توجبها الامانة الادبية واختلاف النظرة نركزها في الآتي :

١ - لقد كان يصح ما ذهب اليه الدكتور يوسف من انه
« لما لم يتحقق للزهاوي حلمه رفع راية التمرد لاثبات ذاته ولتأكيد
شخصيته فدعا الى تحرير المرأة ودعا الى الفلسفة والى الاخذ بنظرية
دارون وحشر نفسه في امور كثيرة مثل نظرية الجاذبية والف في
الداما وفي الطير القلاب لكي يثبت انه عبقري وانه فيلسوف وانه عالم
وانه يأتي بما لم يات به غيره من الاقران » . اقول لقد كان يصح ذلك لو
ان الزهاوي كتب دفاعاً عن المرأة والف في الجاذبية ونشر عن الطير
القلاب بعد فشله في الحصول على المكان اللائق به (بعد الاحتلال
الانكليزي للعراق) ، باعتبار ان فشله في تحقيق احلامه دفعه الى
رفع راية التمرد فكتب ما كتب ولكن الواقع يباير ذلك . ان الزهاوي
نشر مقالاته الشهيرة في الدفاع عن المرأة في العدد ٦١٢٨ من المؤيد
الاسبوعي سنة ١٩١٠ ونشر كتابه في الجاذبية وتعليقها سنة ١٩١٠
ايضا كما نشر مقاله عن سر تقلب الحمام القلاب في المنتصف قبل الحرب
العالمية الاولى باعوام طوال ايام كان يرسل في العز العثماني ! ان صح
التعمير واياهم كان ينعم بالوظائف الكبرى في الدولة ومنها العضوية في
مجلس المبعوثان ومن هذه الواقعة المادية يتضح ان هذه الكتابات لم تكن
نتيجة تمرد لسبب فشله في تحقيق طموحه واحلامه لسبب بسيط انها
نشرت قبل ذلك بسنوات طوال ايام كان في اوج مجده .

٢ - ان وصف الشاعر بالتقلب السريع وانه مثلاً مدح عبد الحميد
وهاجم ومدح الاتراك ثم هاجمهم ومدح الانجليز ثم هاجمهم قد يرجع
سببه الى تغير موقف الحاكمين انفسهم وايضاً لهداه الفكرة اقول ان
الزهاوي مدح الانكليز في ميمنته المعروف .

احب الانكليز واصطفيهم مرضي الاخاء من الانام
اتناء حرب البوير ونشرها في سنة ١٩٠٩ فمن اين للزهاوي ان يتنسباً
بان الحرب العالمية ستقوم بعد سنوات وان الانكليز سيفوزون العراق
ويحتلونه ليؤخذ على قصيدته هذه ؟ ؟ لكن الزهاوي هجا الانكليز عند
ما احتلوا العراق بقصيدة اولها (يا ايدي الظلم شلي) كما رثى شهداء الرميثة
بعد ذلك . كذلك مثلاً للزهاوي قصائد في مدح عبد الحميد كتبها
بدافع ايمانه بالخلافة رمزاً للوحدة الاسلامية فلما كثر الطاغية عبد
الحميد عن انيابه هجاه وهو في اوج طفيلانه في قصيدة مشهورة منها :

وايديك ان طالت فلا تقترربها فان يد الايام منهن اطول

كذلك فان للزهاوي قصائد في مدح الاتراك في مطلع القرن
العشرين عندما كان يؤمن بالوحدة الاسلامية لكنه هجاه لما اعدموا
شهداء ايار عام ١٩١٦ امر الهجاء وفي اعتقادنا ان مبعث هذا التغير ليس
هو التقلب وانما هو تغير وتحول في سياسة الطرف المقابل او تطور
في نصح الشاعر مما يستوجب حتماً تحديداً جديداً لمواقفه ولكننا
نعقد ان ظاهرة القلق النفسي كانت السبب فيما كتبه الزهاوي من
شعر في الشك واليقين مما ليس هنا مجال تفصيله . ان هذه الملاحظات
العابرة لا يمكن ان تفضي بحال من القيمة الرفيعة للبحث ذلك ان هذا
البحث يأخذ بدراسة الشاعر من الوجه النفسي وهو اتجاه جديد
في ابحاث ادبائنا العراقيين ، يعد في نظري امتداداً لمدرسة الدكتور
- خلف الله - عميد الاداب في الاسكندرية .

محمود أحمد السيد

تأليف محمود العبطه المحامي

١٢٣ ص من القطع المتوسط - مطبعة الامة بغداد ١٩٦١

*

- ١ -

يعتبر المرحوم الاستاذ محمود احمد السيد رائد الادب القصصي في العراق ؟ كان كاتباً يؤمن بالالتزام والواقعية وقد استطاع في قصصه ان يعري واقعه ويستقطب مافيه من فساد وتاكل ! والواقع اننا كثيراً ما راينا يدعوا الى هذه المدرسة الحديثة في كتاباته ومما قاله : ان هذه القصص التي ينشرها ماهي الاطلاع للادب القصصي العراقي الواقعي الذي اعترفت السعي الى تكوينه وانا بين اليأس والامل ص ١١٣ .

ولد هذا الكاتب الوطني الفذ ببغداد عام ١٩٠١ في محلة مشهورة تعرف ب « باب الشيخ » وكان من عائلة ينتهي نسبها الى الرسول وان بعض افرادها كان يمتحن التدريس في الجوامع .

دخل كتاباً اول الامر يعرف بالمدرسة السلطانية العثمانية ثم دخل المدرسة الابتدائية فمدرسة الهندسة ثم تحول منها الى مدرسة المعلمين . وتنتهي الحرب الاولى ١٩١٩ فيسافر صاحبنا الى الهند وفيها تشرب نفسيته المنفتحة بافكار اشتراكية جريئة يصورها لنا بعمق في روايته « جلال خالد ١٩٢٨ » عندما يختفي وراء شخصية بطلها « جلال » .

ويعود الى العراق فيرى بلاده كما يقول : « ثورة فاشله وقرى مغربة وكرامات مداسة واقتصاد متاخر ص ٢٥ » وتابى عليه وطنيته الا يتفاعل مع احداث بلده فيكتب المقالات الانتقادية الهادفة والقصص الصريحة ، كما انه يعين سكرتيراً لمكتب العمال في بغداد . ولكن حسه الوطني سرعان ما يتضائل - كما ارى - امام شيح الوطنية الحكومية التي اضحى يمارسها كسكرتير في مدرسة البلديات بعد عام ١٩٢٠ ثم ينتقل منها الى سكرتارية مجلس النواب العراقي عام ١٩٢٤ ويظل شاغلاً اياها حتى وفاته في ايلول عام ١٩٣٧ وكان يومذاك في مصر يعالج هذه النفس المتعبة وكان قبلها قد زار ايران لهذه الغاية .

اما سببية تلك الوفاة فقد اختلف حولها كل من كتب عنه فمنهم من قال انه اصيب بمرض القلب ومن قائل انه اصيب بمرض السل وبعضهم لم يعين مرضه كمجلة الحاصد التي قالت بانه « مرض عضال اعجز الاطباء » .

اما الاستاذ زهير القيسي فيزعم انه مات متأثراً بمرض نادر تدعوه العامة « باني طريق » وهو مرض لا يصيب الا الطيور ، كما انه لا يصيب الانسان الا في حالة من ألوف الحالات . . . اصيب به وهو الذي لم يفتن في حياته طيراً او حيواناً ايضاً فما اعجب مفارقات القدر !

خلف محمود السيد سبعة اثار وترجم قصة طويلة ومجموعة قصص عن التركيبة بالإضافة الى مقالاته الكثيرة في الادب والفلسفة والاجتماع . وقد كتب عن حصيلته اكثر من واحد ؟ ولعل الدكتور سهيل ادريس يعتبر ادق واروع من تناولها فقد قال عن اقصوصته « باداي الفايز » انها اجمل اقصيصه ولعلها من اجمل اقصيص العربية الحديثة (٢)

(١) انظر مقالته عن جلال خالد ص ٢٧ - مجلة الفنون عدد ٢٥

شباط ١٩٥٨

(٢) راجع مقالته الموسعة عن « القصة العراقية الحديثة » الاداب

عدد ٢ شباط ١٩٥٣

ولكاتب هذه السطور دراسة عن القصة العراقية ما بين الحربين « ١٩١٩ - ١٩٣٩ » حلل في فصولها الاولى جميع اثار السيد القصصية ربما تفرغ الى نشرها قريباً .

وتزعم بعض الاخبار الادبية التي نقرأها في صحفنا اليومية ان الدكتور علي جواد الطاهر يعد دراسة مسهبية عن حياة السيد وادبه ؟ ولكن الاستاذ العبطه يقول : « ان الثاؤب الادبي أخذ بالتواصي والاقدام » هذه خطوط عامة مبسرة عن الواقع الحياتي والفكري الذي عاشه رائد القصة العراقية الحديثة ، حاولت هنا ان ألم ببعض خيوطها مفترضاً ان القارئ لا يكاد يعرف شيئاً عن المترجم .

- ٢ -

صاحب هذه الدراسة محام ناجح وهو رغم الجهد القاتل الذي تبعته المرافعات والشؤون القضائية التي تمتص وجود القائم بها وتحيله الى كتلة من التعب والسأمه فان الاستاذ العبطه ماض في طريقه الادبي الجاد لاثنيه عنه أي مفضلة مهما كان خطرهما ، ان حبه للادب والمعرفة تجعلانه يستهين بكافة العقبات والامور العارضة ، انه كتلة من النشاط والاحاسيس الشابه فهو يعد الان الجزء الثاني من هذه الدراسة للطبع ويعمل في كتابة دراسة اجتماعية ممتعة عن رجل الشارع .

تعجبني منه هذه الاريحية الادبية التي تتفانى خدمة للنهضة العربية الحاضرة وتفتح صدرها لكل سائل او مستفهم بعكس اولئك السذنين انطلقوا وتشرنقت افئدتهم بالانانية والترفع الهلامي الشائخ ! اما دراسته موضوع المناقشة فهي احدى الامثلة الرائعة لكتابة السيرة الادبية رغم المآخذ التي سجلناها على هيئتها العامة ! لقد اهدى الدراسة الى ادباء الشباب طليعة لادب المصري الذي يطرح مشكلة الانسان المعاصر على صعيد فكري معمق لا بسداجة الاطفال وعثرية الاساطير كما كانت تطرحها قبل حزمة من السنين !

وتبدأ الدراسة بكلمة قصيرة بعنوان « اول الطريق ص ٩ - ١١ » يعترف لنا بها انه لم يكن يعرف الذي يترجم له وان معرفته به كانت بعد قراءته دراسة عن القصة العربية كتبها مستشرق انكليزي في مجلة عربية ، ثم يذكر انه اخذ يقرأ قصصاً كثيرة في مجلات عراقية وعربية كان منها مجلة الرسالة المصرية التي قرأ فيها اخيراً خبر وفاته فسي زاوية مهملة منها عندما كان يعالج في احد مستشفيات القاهرة ثم دفنه في احدى المقابر هناك .

ونفهم منها ان جذور صلته بادب السيد كانت قديمة ترجع الى اواخر الحرب الثانية لذا فهو اول اديب حاول دراسة حياة اديب السيد .

وننتقل الى « مدخل الدراسة » فنلمس فيها خطوة موفقة للممازجة بين البيئة والادب ، فالكتاب يحاول في اكثر من موضع استخدام المادة

تطلب ((الاداب))

في الجزائر من :

دار الكتاب

لصاحبها السيد خالد القرطبي

نهج كولو غلي رقم ٤ - بلدية - الجزائر

القصصية للسيد في تفسير واقع الحياة السياسية في عصره لانسبه يرى ان حياة « هذا الكاتب الفذ متلازمة مع ادبه تلازما غريبا لانجسده الا عند القلة من حملة الافلام في المراق كالرصافي والازري والمدرس وابراهيم صالح شكر ولكن بدرجة ادنى وبوضوح غير جلي كما هو الحال عند محمود احمد السيد ص 119 »

وفي هذا المدخل يحدثنا الاستاذ العبطه عما يلي :

- 1 - حلل قصص السيد الهامة ورصد ابعادها الفنية ؟ مع تتبع تاريخي لجميع آثاره .
- 2 - تحدث عن اسلوبه القصصي وكيف كان بدأيا اول الامر ثم سرعان ما نما واصبح نظرا موحيا .
- 3 - وتضمن الكتاب اشارات هامة عن مقالاته وقصصه المترجمة مع احكام ذاتية قليلة !
- 4 - والكتاب بعد ذلك مرجع هام جدا لمن يحاول ان يكتب عن ادب السيد ..

اما ماخذنا التي المنحنا اليها من قبل فتتعلق بتقنية الدراسة وبنائها الجمالي اكثر من تركيزها على المادة المعروضة الا في الاقل فالخطوط العريضة لحياة السيد التي حاول العبطه ان يعرضها لنا كان يعوزها التركيز والاندراج التاريخي الوداع الذي يعتمد على الربط الواقعي والاستنتاج الذاتي المبدع .

كما ان حديثه عن واقع العصر جاء مخيبا للامال لا كما عودتنا عليه الدراسات الادبية الناضجة فحينما ترى حديث الاستاذ العبطه عنه عميقا محكما ، ومخلخلا سائب الربط حينما اخر . انه يتناسى التيار التاريخي فترة ما ليعود متحدثا عن ادب السيد واقاصيصه !.

وهو احيانا لا يذكر ارقام الصفحات التي يستقي منها مادته ، لاسيما عند اقتطافه من مادة السيد القصصية ، ولا يذكر ايضا بعض المجالات واعدادها فمثلا نراه لا يذكر لنا في أي مجلة نشرت مقالة السيد النقدية عن « ابراهيم الكاتب » انظر ص 5 .

كما انه ينسب قصة البحث للروائي ديستيوفسكي بينما هي لتولستوي « انظر ص 112 » .

والواقع انه من المهم ان نؤكد على ان ماكتبه العبطه ليس مدخلا لدراسة وانما ايجازا بارعا لكتاب عجز ماليا عن طبعه بصورته الواسعة العميقة .

ان الداخل عادة تعنى اكثر مانعنى بالمشاكل الاطارية للدراسة لا كما فعله الاستاذ العبطه عندما عهد الى تقديم ملخص مضغوط لدراسته التي قال لنا انها ستظهر في جزء قابل ؟ ترى عن ماذا سيحدثنا بعد هذه الجولة التاريخية العريضة التي جدها قلمه !..

ان الكاتب لو اکتفى بالحديث عن الواقعين السياسي والاجتماعي لعصر السيد ومدى التجاذب النفسي بين واقع السيد وادبه لكان العق بالموضوعية التي حاول التزامها والهدف الذي ترسمه في دراسته .

ان هذا الخلل العجيب والتداخل اللامنتظم الذي حشره العبطه في دراسته فوت عليه اكمال عمل دراسي ناضج جدا .

كما ان اسلوب الكاتب كان يتأرجح بين العصرية التي تستقطب الاصطلاحات النقدية الجديدة وبين الصحافية التي يؤخذ عليها هلهلته وبعدها عن التركيز والضببط الفلسفي للفظه .

وعلى العموم فان ما يؤخذ على اسلوبه ينحصر في هذه العجالة الخائفة التي كثيرا ما نراها تلهت باعباء في اكثر من موضع ، ولعل لتحديات الاساليب القضائية اثرا واضحا في ذلك !.

نحياني الخضراء للاح العبطه ومعذره .

زيد الظاهر

بفداد

عضو جمعية المؤلفين والكتاب العربيين

قربنا :

سلسلة القصص العالمية

وفيها تقدم دار الاداب ارووع ما كتبه كبار ادباء العالم من القصص الطويلة والقصيرة .

انتظروا الحلقة الاولى :

قصص سارت

في كتاب واحد ضخم يضم القصص التالية :
الغيان - الجدار - الغرفة - ابروسترات -
صميمية - طفولة قائد - صداقة عجيبة

نقلا عن الفرنسية

الدكتور سيميل دريس

والحلقة الثانية :

قصص كامو

في كتاب واحد ضخم يضم القصص التالية :
الغريب - الزوجة الخائنة - الجاحد - البكم
الضييف - جونسان - الحجر الذي ينبت

ترجمة

عايدة مطرجي إدريس

منشورات دار الاداب